عين سحم (سبيل الماء)
من التراث المعماري والشعبي

ضياء الدين الطوالبة[1]

مقدمة تاريخية

تقع بلدة سحم في أقصى الشمال الغربي من المملكة الأردنية الهاشمية في محافظة إربد - لواء بني كنانة - وتبعد حوالي ٢٢ كم إلى الشمال الغربي من مركز المدينة، وترتفع سحم فوق مستوى سطح البحر حوالي (٤٠٠) متراً، وهي أحدى قرى بلدية الشعلة التي تضم: سحم وسمر والعشة (**الشكل ١**).

(سحم الكفارات) هو الإسم الأكثر شهرة للقرية، وقد ورد هذا الأسم «سحم» في النقوش العربية الصفائية «أسحم»، وكل أسود أسحم، ويرد في النقوش الثمودية «سحم»، وفي العبرية ورد «سحم» غرانيت، صوان، وورد بمعنى أسمر، فالأسحم : ذو السواد، وسوادُهُ السُّحْمَة ويقال للَّيل أسحم، فسحم على هذا النحو كلمه سامية تعني الأسود وربما جاءت هذه التسمية من لون الحجارة ألصوانيه في حصنها وهي حجارة داكنة مائلة للسواد، أو ربما نسبه إلى كثافة الأشجار المحيطة بها وخصوصاً اشجار الزيتون والبلوط (طلافحة ٢٠١٧). أما كلمة (الكفارات) فهي مشتقة من «كَفرُ»، وتدل «كفر» على مكان السكن والتجمع والكلمة من المشترك السامي، فهي في الأكادية كابرو، وفي السريانية كفرا، أما في اللغة العربية «كفر» مشتقة من (كفرت الشي أكفره كفراً: أي أستُرهُ وأغطيه)، وفي الأشورية كبرو، وفي العبرية الحديثة إكفار، وفي الآرمية كافرانا وتعني البلدة أو القرية، (أبو خضير٢٠١٦: ٣٥٥-٣٨٢). ومما سبق نستنتج بأن التسمية «سحم الكفارات» تعني قرية زراعية بالدرجة الأولى ذات شجر، ومعنى السَّحَمُ هو: السَّوادُ، وهي صفة الأرض التي جاءت من شدة الخضرة.

وقد ورد اسم سحم في دفتر الطابو[2] العثماني

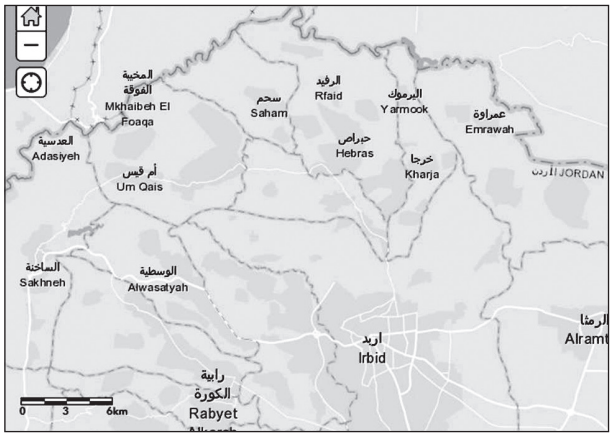

١. خارطة تبين الموقع الجغرافي لقرية سحم الكفارات (esri 2018 - https://www.arcgis.com).

١. باحث في دائرة الثقافة والسياحة-ادارة البيئة التاريخية- إمارة أبو ظبي، هذا البحث جزء من دراسة يقوم بها الباحث لإعداد كتاب يوثق تاريخ قرية سحم.

٢. طابو: اختلف الكتّاب في معنى اللفظ فذُكر أنها رومية أصلها (طابوس) وتعني الأرض، وقيل أنها تركية أصلها (طابوغ) وتعني الطاعة، والمعنى الأول أرجح لكونه أقرب إلى المعنى وهو الثمن المعجل للأرض يؤخذ من المتصرفين بالأراضي بدلاً من الزرع والحرث. وقد استخدم اللفظ باللغة التركية ليعني سند الملكية (ملكية الأراضي والعقارات).انظر: (المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية: سهيل صابان، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية ٢٠٠٠، ص ١٤٧)

رقم (٤٣٠) الذي يرجع إلى مطلع عهد السلطان سليم القانوني ويعود تاريخه إلى حوالي سنة ١٥٢٣م، تحت اسم «سحم القِفار»، ورد هذا الاسم مكتوباً بالخط العثماني وقد كتبت ملاحظة بجانبها (تشتت شمل أهلها ولهذا لم يسجل أسماء أهلها ولكنهم ما يزالون يزرعون أراضيهم)، وجاء في الدفتر أسماء بعض الحاصلات الزراعية التي زرعت في سحم كالحنطة والشعير، كما ذكر عدد من الماعز (البخيت ١٩٨٩: ٢٤،٥٠). أما كلمة «قِفار» ترد في معاجم اللغة العربية (قِفر، قِفار): خلاء لا ماء فيه ولا كلأ؛ وجد الأرض قِفاراً خالية، لا أحد بها .أي هجرها أهلها، ويبدو واضحاً بإن سحم كانت تشكل مجتمعا قروياً صغيراً في بداية القرن السادس عشر من خلال ممارسة سكانها لبعض الأعمال لزراعية وتربية الماشية.

تتميز القرية بموقعها الجغرافي، إذ يمكن مشاهدة هضبة الجولان المحتل شمالاً وجبل الشيخ الذي يكسو قمته الثلوج، وفي مشهد بانورامي تتلألأ ليلاً أضواء البلدات المرتفعة السورية شمالاً وبالذات فلسطين المحتلة غرباً، وبلدة سحم تتميز بأجوائها المعتدلة صيفاً وشتاءً وهي ذات طبيعة سهلية، تحيطها الأودية أشهرها وادي خالد الذي يجري فيه نهر اليرموك، وتشتهر البلدة بزراعة أشجار الزيتون.

تجاور سحم عدد من البلدات: ففي الجهة الشمالية أراضي بلدة عقربا، وإلى الجنوب أراضي بلدة سمر، وفي الشرق أراضي بلدة كفرسوم، وفي الجنوب والجنوب الغربي أراضي بلدة ملكا. كذلك تمتاز قرية سحم بوفرة ينابيع المياه وخصوبة تربتها وغطائها النباتي، مما ساعد على الإستقرار البشري حولها منذ زمن مبكر.

تنتشر الشواهد الأثرية في مناطق مختلفة حول القرية القديمة وسفوح أوديتها والتي تشير إلى أهمية المنطقة تاريخياً (**الشكل ٢**). ويمكن مشاهدة الكهوف الكبيرة والمغاور المغور التي ربما كانت ملجأً للإنسان خلال العصور القديمة، كما تنتشر الخرب الأثرية في سحم من أهمها: الحصن (العصر البرونزي الأخير) الواقع في السفح الشرقي من وادي سحم، وخربة كفر لاهيا (العصر الروماني)، والدير (الفترة البيزنطية)، والصنيبعة وجبيل (الفترة الرومانية/البيزنطية)، وتل حصون، وموقع معركة اليرموك الخالدة، ومسجد سحم القديم وعين سحم (سبيل الماء) من الفترة المملوكية والعثمانية، وغيرها الكثير من المواقع التاريخية.

تتنوع تضاريس سحم بين أراضي سهلية ووديان وتلال صغيرة، ويخترق أرآضيها واديان رئيسيان أحدهما يقع بالجهة الشرقية والآخر يقع إلى الجهة الغربية، حيث يمتدان بإتجاه الشمال ويلتقيان بوادي عقربا المستعرض الذي يتجه غرباً إلى وادي اليرموك، حيث تسيل الإودية والجداول مشكلة سيول وأنهار، ومنها يُخزن في جوف الأرض، وترتبط وفرة المياه بالظروف المناخية من حيث معدل كميات تساقط الأمطار في موسم الشتاء، وقد عرف الإنسان منذ أقدم الإزمنة طرق استغلال مصادر المياه وحصادها.

وقد تفجرت في هذه الأودية عدد من ينابيع المياه الجوفية المعروفة لدى سكان البلدة، وتشكلت حولها مراكز استقرار للإنسان في مختلف الفترات الزمنية، وقام سكان القرية بإستغلالها وإستصلاح أراضيها على شكل مدرجات وزراعتها بإشجار الفاكهة منذ فترات زمنية، وتشتهر هذه الأودية بزراعة أصناف مختلفة من الفاكهة كالعنب والرمان والتين والصبار والحمضيات وغيرها من الخضروات.

تعتبر سحم غنية بمصادرها المائية خلال العقود الماضية؛ وذلك لكثرة عدد ينابيع الماء فيها التي بلغ عددها نحو (١٥)، وأشهرها :عين سحم، عين عيش الرمان، عين خلة العين،عين كفر لاهيا، عين السفلى، عين المصبغانية، عين الصفا وغيرها، وكانت جميع الينابيع متدفقة وغزيرة، إلا أن إنخفاض منسوب المياه الجوفية في السنوات الأخيرة، بسبب قلة كميات

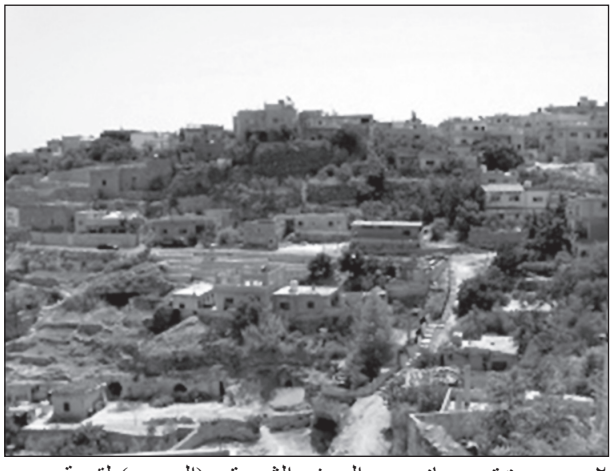

٢. صورة تبين جانب من السفح الشرقي (الحصن) لقرية سحم (الباحث).

الأمطار وتبدل الأحوال المناخية في المنطقة والعالم قد أثر في كميات مخزون مياه الأمطار وانخفضت كمية المياه المتدفقه في الينابيع مما أدى إلى نضوب وجفاف بعض الينابيع.

كانت هذه الينابيع في مختلف الفترات الزمنية عامل الجذب الرئيسي للإنسان، فاستقرت بالقرب من بعض هذه المصادر المائية مجموعات من السكان المحليين، حيث تدل بقايا اللقى الأثرية كالكسر الفخارية والآبار والأحواض والكهوف والشواهد المادية الأخرى، على وجود استيطان حول الينابيع التي تنتشر في سفوح وبطون أودية سحم في فترات زمنية مختلفة، وربما كانت تلك التجمعات التي نشات حول الينابيع تشكل قرى زراعية أو رعوية بسيطة من السكان المحليين، وما تزال هذه الينابيع إلى اليوم حاضرة في التراث المادي والشفهي الشعبي المحلي.

من أشهر هذه الأودية المعروف بإسم وادي سحم (وادي الحصون)[٣]، وفيه نبع ماء يعرف ب(عين سحم)، الواقعة في بطن الوادي في إحداثية (32.41’44”N - 35.46’42”E)، وترتفع عن مستوى سطح البحر حوالي ٣٥٠ متراً (**الشكل ٣**)، وتعتبر المصدر المائي الرئيسي الذي تركز حوله الإستيطان منذ فترات تاريخية قديمة، ربما تعود إلى نهاية العصر البرونزي أو قبل ذلك، وهناك دلائل استيطانية أخرى من الفترات الرومانية والبيزنطية حيث تنتشر الكهوف والمقابر في سفوح الوادي، كما توجد بقايا أثرية كالكسر الفخارية من الفترة الإسلامية الأموية والفترة الأيوبية المملوكية، وما تزال بقايا الأبنية التقليدية من الفترة العثمانية شاخصة في سحم القديمة في المنطقة المعروفة باسم (المسّرة) ويدل الإسم على الفرح والسرور. وقد اعتمد سكان البلدة على مياه النبع النقي كمصدر لأغراض الشرب واستخدامه في مختلف شؤون حياتهم اليومية، وفي رّي أشجار البساتين في وادي سحم.

انتشرت البيوت الطينية على سفحي الوادي الشرقي والغربي، ومن الملاحظ عدم وجود آبار ماء في معظم مساكن سحم القديمة، وربما يكون ذلك بسبب وجود نبع الماء الرئيسي في موقع قريب من مساكن القرية، وقد ورد ذكر بئرين في سجل المخاتير خلال النصف الأول من القرن الماضي، أُستخدما لجمع المياه في القرية أحداهما موجود في مسجد سحم القديم.

استخدم الأهالي في بعض الأحيان الآبار القديمة المتوفرة في حيز مجاري الأودية الموسمية، وكان السكان المحليون يطلقون عليها اسم (آبار رومية) بعضها حفر قديماً لا يعرف تاريخها، وبعضها حفر في مطلع القرن الماضي في القرى والأرياف، وقد بقيت بعض هذه الآبار مستغلة حتى زمن دخول خدمات توزيع المياه الصالحة للشرب في البلدات والقرى في منتصف الستينيات، ويطلق على الآبار عدة تسميات

٣. خارطة تبين موقعي عين سحم وعين كفر لاهيا والأودية الرئيسية (Google Earth 2018).

٣. جاء اسـم (وادي الحصون) في خارطة طبوغرافية لمسح منطقة وادي اليرموك عام ١٩٣١م، المصدر:٣.

محددة مثل: بئر الرأس أي الصغير قليل العمق، والآبار الخرايج وهي الآبار الضخمة التي تساق إليها مياه الأمطار، والبئر العِد أي الكثير الماء، أما بئر الركية فهي الواسعة قليلة العمق (محمود ٢٠٧: ١٦٠).

وقد كانت بيوت القرية قريبة من بعضها تفصل بينها دروب ضيقة ومتعرجة من الصخر، وللقرية طريق رئيسي ينحدر تدريجياً يؤدي إلى عين الماء في أسفل المنخفض بشكل متعرج، أرضيته صخرية صلبة فيه بعض الأماكن الوعرة، وفي الغالب كان يزدحم بالدواب التي تنقل الماء للبيوت من النبع الرئيسي.

وقد جاء في سالنامة[٤] ولاية سورية لسنة (١٢٨٨هـ/١٨٧١م) حول التعداد السكاني للأسر في قضاء عجلون ناحية الكفارت ومن ضمن القائمة قرية سحم فيها ٣٤ (خانة) أي أسرة (سالنامة١٢٨٨: ٢٨٧)، وعندما زار الرحالة شوماخر Schumakher القرية عام ١٨٩٠م فقد سجل في ملاحظاته نحو ٨٠ مسكن في القرية، وبلغ عدد سكانها حوالي ٤٠٠ نسمة (Schumakher 1897: 179)، وخلال النصف الأول من القرن الماضي في عهد إمارة شرق الأردن إزداد عدد سكان القرية حسب ما ورد في سجل دفتر المخاتير وقد بلغ ١٠٠٠ نسمة وعدد المساكن ٨٠.

يقع وادي سحم أسفل القرية ويتميز بجمال طبيعته، وقد أبدع أصحاب الأودية في إستغلال مياه النبع وجرها بقنوات لرّي البساتين، وذلك بحفر مجاميع من القنوات المائية بالصخر، إذ كان هناك أشخاص ذو خبرة يمتهنون حفر قنوات الماء التي تمتد لمسافات طويلة، ابتداءً من المصدر الرئيسي عين الماء مروراً بالمدرجات المزروعة بالأشجار، وتجميع كميات منها في أحواض وصهاريج كبيرة للري عند الحاجة، ويتم فتح هذه الخزانات وتنساب المياه عبر قنوات مائية مكشوفة يصل طولها إلى مئات الأمتار لتزويد كل شجرة من الفاكهة المنتشرة في بساتين الأودية بالماء بطريقة سهلة، تجري المياه عبر القناة الرئيسية ثم تتفرع منها قنوات صغيرة متعددة بغرض ري الأشجار أو الخضروات، ويتم التحكم بإغلاقها أو فتحها بإستخدام أدوات بسيطة كقطع القماش أو الحجارة والطين. وكان المزارعون ينظمون عملية الري فيما بينهم في أوقات وساعات محددة لكل بستان في الوادي، وتبلغ اجمالي مساحة أراضي حوض البساتين رقم (١٢) في وادي سحم ٦١٦,٦١٩ متراً مربعاً[٥]، كان يتم ري معظم هذه البساتين من النبع الرئيسي عين سحم ونبع آخر قريب منه هو عين المصبغانية.

وتعتبر المنتجات الزراعية مصدر دخل ورزق لهذه الأسر كان يتم تسويقها منذ الفترة المملوكية والعثمانية في الأسواق المحلية والمجاورة (walker 2005: 68)، ومن أشهر أصناف الفاكهة التي تنتج: الرمان والعنب والتين والليمون والصبار وأشجار البطم والجوز والزيتون، وبعض أنواع الخضروات وزراعة أنواع الحبوب في المواسم المختلفة.

أكدت الدراسات التي أُجريت خلال عام ٢٠٠٦م من قبل جامعة (Grand Valley State University) بالتعاون مع دائرة الآثار العامة وهي دراسة ضمن مشروع شمال الأردن (NJP) ومنها قرية سحم القديمة تناولت فيها تاريخ المجتمع الريفي والزراعة والبيئة لمنطقة حوض وادي سحم، ودراسة الأنماط الزراعية في الوادي خلال الفترة الإسلامية المتأخرة إلى مرحلة تشكيل المملكة الأردنية الهاشمية، حيث تم دراسة وتحليل عينات من التربة والماء من الحقول الزراعية في الوادي، كانت التغيرات في المحاصيل الزراعية والمناخية، وإستعمال الأراضي وتبدل الأحوال السياسية كلها عوامل أثرت على الزراعة بمنطقة شمال الأردن خلال الفترة الإسلامية المتأخرة المملوكية والعثمانية (Savage and Keller 2007: 523).

عين سحم (سبيل الماء)

العين وجمعها عيون وفي معاجم اللغة هي من الأسقية ما سال ماؤه، وهو ينبوع الماء ينبع من الأرض ويجري. أما السبيل جمعه أسبلة: مشرب يقام في الأماكن العامة والأحياء وأركان المساجد والمدارس والخانقاوات والمقابر والأضرحة أو بالقرب منها، وقد إنتشرت الأسبلة في العصر المملوكي بشكل خاص وكانت أنيقة البناء، ولعل إشتداد الحرارة وقلة المطر وكثرة المحسنين، أدى إلى إزدياد عدد الأسبلة في

٤. سالنامة ولاية سورية سنة ١٢٨٨هجرية، دفعة ٣، ص ٢٨٧.

٥. أحواض سحم: تطبيقاً الكترونياً دائرة الأراضي والمساحة- المملكة الأردنية الهاشمية.

الحواضر الإسلامية لإستعمال المارة، وساكني الحي وأصحاب المصالح، وكان الوازع الديني سبباً في عمل الأسبلة (غالب ١٩٨٨: ٢١٨).

يعتبر المبنى القائم فوق عين سحم (سبيل الماء) أحد أقدم الأبنية التاريخية في القرية التي ما تزال قائمة، شُيّد سبيل الماء فوق النبع من قبل الأهالي في القرية القديمة (**الشكل ٤**)، والجدير ذكره بأن إنشاء الأبنية فوق ينابيع الماء والسيول هو تقليد قديم كان الغرض منه ديني مثل سُبل الحوريات (نمفيوم) التي أقامها الرومان في المدن فوق الينابيع تخليداً لآلهة الماء أو لأغراض ترفيهية كالنوافير التي تزين تقاطعات الطرق والساحات العامة، وخلال الفترة الإسلامية فقد شجع الدين الإسلامي الحنيف على سُقيا الماء من حفر الأبار وجر القنوات المائية وبناء أسبلة الماء كوقف عام للناس وعابري السبيل تقرباً إلى «الله» تعالى.

كانت عين سحم تشكل عصب الحياة الرئيسي بالنسبة للسكان الذين استقروا على مر العصور الزمنية واستوطنوا حول النبع منذ أقدم الفترات الزمنية حتى وقتنا الحاضر، فالنبع هو المصدر الذي زودهم بالماء العذب، وتعتبر "عين سحم" من أبرز ملامح التراث المائي لإهالي القرية، حيث كان السكان يملؤون أوعية الماء والقِرب الكبيرة وتنقل إلى المساكن محمولة على رؤوس النساء، وقد عُرفن بإسم (الملاّيات) نسبة إلى امتلاء الأوعية المحمولة على رؤوسهن بالماء، كما أُستخدمت الدواب في نقل الأوعية، ثم تفرغ في جرار فخارية كبيرة تسمى (الخابية)، حيث توضع في أحد أركان فناء البيت، وأحياناً تكون هذه الجرار مظللة ببناء بسيط تحميها من أشعة الشمس المباشرة لتحافظ على درجة حرارة منخفضة للماء، وتغطى فوهة الجرة بغطاء معدني أو خشبي ويوضع فوق الغطاء إناء صغير يستخدم للشرب.

ومن أدوات الماء التي كانت مستخدمة وبقيت تستخدم لفترات متأخرة هو السعن: وهو سِقاء صغير يستعمل لحمل الماء والشرب، والسعن هو قربة الماء، تصنع من جلود الضأن يوضع فيها الماء ويبرد ويستقى بها، ومن الأدوات الأخرى السِقَا وهو وعاء من جلود الضأن المدبوغة ويصنع من جلد السخلة ولا يكون إلا للماء. والقدح إناء يشرب به الماء (جنيدل ٢٠٠٧: ٢١-٢٢)، ولم تقتصر أدوات الماء المستخدمة على تلك الأنواع فقد تعددت أشكالها وموادها الأولية حيث أُستخدمت في بداية القرن الماضي أوعية الماء المعدنية كبيرة الحجم تربط بالحبال وتثبت على ظهر الدواب.

وكان الأهالي يتجمعون حول العين ويساعدون بعضهم في أجواء من المودة والمحبة، ويتبادلون الأحاديث وأخبار القرية، وكانوا يتزودون بالماء من النبع مرة كل يوم أو أكثر أحياناً، بالإضافة إلى أن الأهالي كما يروي بعضهم كانوا يقومون أحياناً بإستخدامها لإستحمام العرسان في حفل بهيج يزفون فيه العريس راكباً على ظهر الفرس، كما استخدم النبع لغسيل بعض حاجيات الأهالي من نسيج الصوف والبسط وغيرها.

تذكر سجلات الدولة العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر بشكل غير مباشر العيون والينابيع في منطقة قضاء عجلون ومن ضمنها قرية سحم بمنطقة الكفارات حيث ورد اسم العيون: الرمان وسحم الكفارات (البخيت ١٩٩٣: ١٢-١٩). كما ذكر الرحالة الألماني غوتليب شوماخر Schumakher الذي زار القرية في عام ١٨٩٠م بأنه يوجد في شمال القرية بالوادي ينبوع ماء نقي يصب في حوض ودرجة حرارة الينبوع ٢٢ درجة مئوية وحرارة الجو ٢٢ درجة .(Schumakher 1897: 179)

أما بالنسبة إلى البناء القائم حالياً فوق النبع فهو يعتبر من أقدم الأبنية الشاخصة في سحم القديمة ويعود تاريخ بنائه الأخير إلى نهاية الفترة العثمانية، ولكن يعتقد بأن المبنى قد بني ورمم في فترات أقدم، والبناء القائم على الأرجح معاصر لفترة بناء المسجد

٤. صورة تبين جانب من مبنى عين سحم (سبيل الماء) (الباحث).

القديم وذلك من خلال مقارنة الطراز المعماري للمبنى وعناصره المعمارية كالنوافذ الدائرية (عين الثور) في جدار الحجرة الشمالي والتي تكرر وجودها في جدار قبلة المسجد القديم من الخارج.

وقد قام أهل القرية ببناء السبيل بمساعدة أحد البنائين من قرية صفد في فلسطين (Walker *et al.* 2007: 432)، كما يُذكر بأنه قد شارك في أعمال البناء الأخير البنّاء محمد المحمد الطيار[٦] وهو من أهالي القرية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي والذي قام هو وأبناؤه أيضاً ببناء العديد من المساكن في القرية.

الوصف المعماري

يتكون السبيل من حجرة كبيرة مربعة الشكل تقريباً قياساتها ٦,٣٨×٦,٣٠م، ويبلغ إرتفاعها الحالي ٣,١٥م، والمخطط ينحرف قليلاً بإتجاه الشمال الغربي بمقدار ١٦ درجة، وتبلغ سماكة الجدران حوالي ٩٠سم، حيث يتكّون الجدار من واجهة داخلية وخارجية وضع بينهما الحجارة الصغيرة والمونة الرابطة، وقد بنيت الحجرة فوق النبع باستخدام الحجارة الجيرية المشذبة متوسطة الحجم (**الشكل ٥**).

للسبيل مدخل رئيسي فُتح في الجهة الغربية ويبلغ عرضه ٩٥سم، أما ارتفاعه يبلغ حوالي ١,٧٦م، كان يعلو المدخل عقد نصف دائري ما تزال بقاياه قائمة، ويلاحظ بأن المدخل لا يقع في منتصف الجدار الغربي بل هو أقرب إلى الركن الشمالي الغربي (**الشكل ٦**)، وكان المدخل يؤدي للأسفل بواسطة عدد من الأدراج إلى الحوض ومصدر الماء. كما يلاحظ أن الركن الشمالي الغربي الخارجي للسبيل غير قائم الزاوية، وهذا ربما يشير إلى إعادة بنائه في فترة لاحقة، وتوجد في منتصف الواجهة الشرقية طاقة صغيرة قياساتها ٢٨×٢٥سم أُستخدمت للتهوية أو الإضاءة .أما الواجهة الجنوبية فهي تخلو من وجود عناصر معمارية أو فنية فيها.

بُنيت الواجهة الشمالية للسبيل (**الشكل ٦**) بشكل متقن من الحجارة الجيرية المشذبة متوسطة الحجم، ويزين واجهة الجدار من الخارج إطار حجري (بانوهات)، وهي من خصائص العمارة العثمانية ويسمى القوس العثماني وهو المرسوم من مركز واحد (ودح ٢٠٠٥: الشكل ٢١)، بشكل نصف دائرة ضخم فتحته ٣,٧٥م، وإرتفاعه أكثر من مترين، وهو يدخل ضمن جدار الواجهة بشكل جمالي نحو ٣٠سم، ويبرز في الزاويتين الشرقية والغربية، وقد فُتح ضمن القوس نافذتان دائريتان من أجل التهوية والإضاءة، ويبلغ قطر كل نافذة منهما ٧٠سم. ففي الواجهة الخارجية بني إطار النوافذ الدائرية من تسع قطع حجرية صغيرة ومشذبة متساوية القياسات، تتماسك مع بعضها بإحكام لتكون شكل الدائرة. أما شكل النافذتين من الجهة الداخلية، فكل واحدة منهما جاءت على شكل حنية مستطيلة بالجدار من الأعلى ذات عقد نصف دائري وفي منتصف الحنية فتحت النافذة الدائرية (**الشكل ٧**).

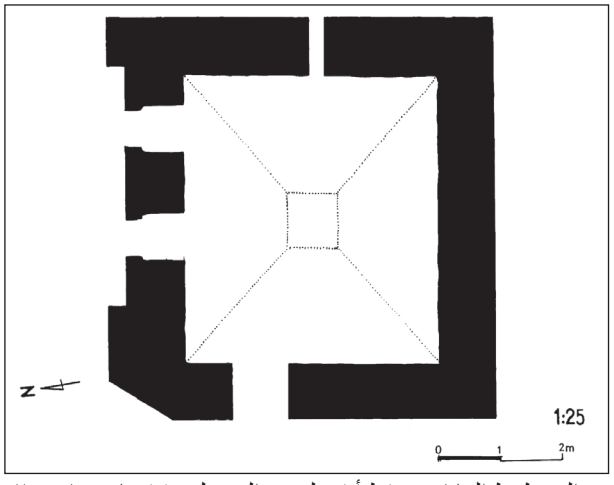

٥. المخطـط العام/ مسـقط أفقي لمبنى السـبيل، (مقيـاس: ١ : ٢٥، عصام عبيدات).

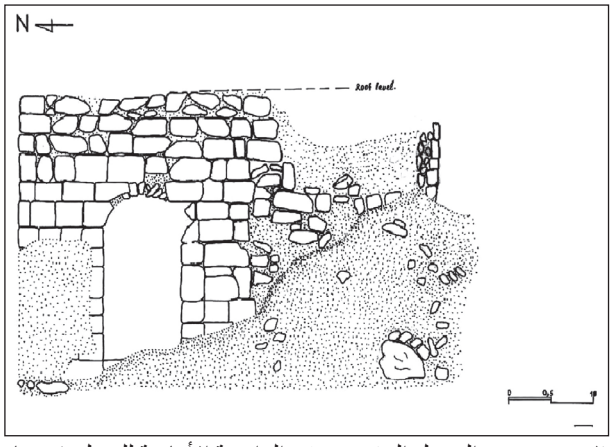

٦. رسـم يبين المدخل الرئيسـي في الواجهة الأمامية للسبيل (عصام عبيدات).

٦. معلومة أدلى بها السيد مظهر الطيار من خلال عمه أحمد محمود الطيار/ أبو نديم الطيار بتاريخ ٢٠١٧/١٠/١٣م

تكرر هذا العنصر الدائري في مسجد سحم القديم في جدار القبلة من الخارج حيث تزينه طاقة صماء دائرية الشكل تسمى (عين الثور) وقد شاع إستخدام هذا العنصر المعماري خلال الفترة العثمانية، حيث نجد هذا العنصر في عمائر قرية أم قيس خلال الفترة العثمانية، وينتشر كثيراً في عمائر مدينة السلط مثل مبنى أبو جابر(الحبيس٢٠١١: ١٠١) ومدن فلسطين خلال الفترة العثمانية.

والنافذة الدائرية الشكل (عين الثور) فوق محراب مسجد سحم القديم هي من العناصر المعمارية خلال الفترة العثمانية المتأخرة التي شاعت في المنطقة، وبالمقارنة فقد أُستخدمت في أبنية قرية أم قيس وفي الأبنية التي تعود إلى نهاية القرن التاسع عشر وفي العمارة التي تسمى قرى التاج في فلسطين، وبعضها يكون نافذاً وبعضها تكون طاقة صماء، ربما كانت النافذة الدائرية في مسجد سحم مفتوحة لإدخال الضوء، فهي محاذية تقريباً للمحراب، ولا يستبعد أن تكون بمثابة حلية معمارية (Walker *et al*. 2007: 434)، وهذا العنصر المعماري هو من نوافذ الجدران المدورة عرفت في العمارة الأموية وقد وصفها ابن منظور بلفظ القترة وشبهها بحلق الدرع، ووصفها كريزول krizell بعين الثور (bull's-eye windows) (حتاملة ١٩٩٨: ٢١٥-٢٢٦).

أما تقنية البناء المستخدمة في الواجهة الشمالية المزينة فقد تكونت من حوالي أربعة عشر مدماكاً بإرتفاع أكثر من ثلاثة أمتار، وقد أُستخدمت مونة ناعمة (جبس) كمادة رابطة بين حجارتها، ويلاحظ عدم وجود فراغات بين حجارة هذه الواجهة، وهي حجارة مصقولة ومشذبة متوسطة الحجم، بينما أستخدم في قاعدة الواجهة والركنين الشرقي والغربي الحجارة الأكبر حجماً زيادة في التدعيم (**الشكلان ٨، ٩**). وفي الواجهات الثلاث الأخرى أُستخدمت الحجارة كبيرة ومتوسطة الحجم ولم تكن حجارتها مشذبة ومصقولة ويلاحظ وجود فراغات كبيرة أحيانا بين صفوف المداميك.

تقنية التسقيف التي أُستخدمت اعتمدت على الإنتقال من الشكل المربع إلى المدور لإقامة السقف المقبب لحجرة السبيل بواسطة المثلثات الكروية التي أُستخدمت في العمارة العثمانية، وقد أُستخدمت الحجارة الخفيفة في عقد السقف من الداخل، بحيث تميل الجدران الحجرية من جهاتها الأربع في الأعلى نحو الداخل وتلتقي في نقطة مركزية بالوسط صغيرة مربعة الشكل، مكّونة شكلاً أشبه بالقبة المخروطية المضلعة من الداخل (**الشكل ١٠**). نضدت حجارتها الرقيقة فوق بعضها بحيث تكّون مداميك معقودة على اتساق هندسي متجانس بديع، لم يُعتنَ جيداً بالحجارة فهي غير مصقولة، ويلاحظ وجود فراغات بينها حيث وضعت بينها مادة القصارة. أما سطح السقف من الخارج فهو مستوٍ وليس مقبب.

٧. صورة تبين الواجهة الشمالية المزينة لمبنى السبيل (الباحث).

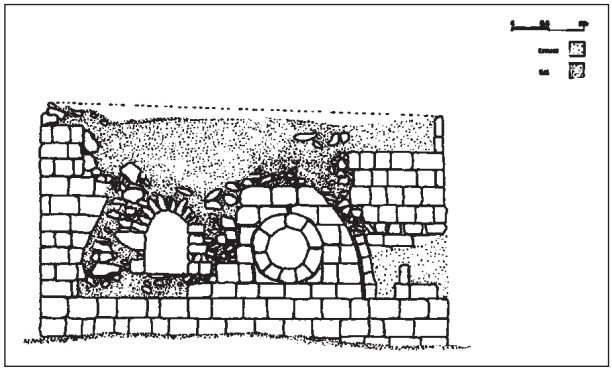

٨. رسم للواجهة الشمالية المزينة: القوس وعنصرا النافذة (عين الثور) (عصام عبيدات).

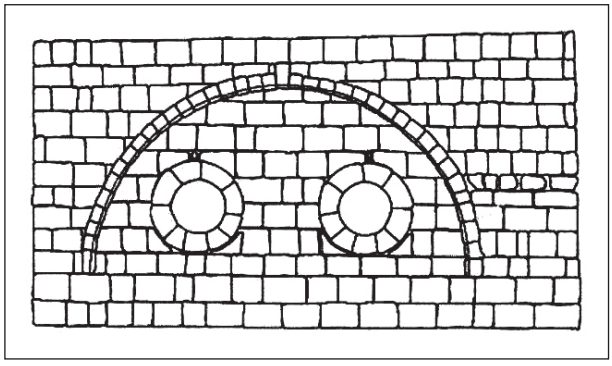

٩. رسم تصوري للواجهة الشمالية المزينة: القوس وعنصرا النافذة (عين الثور) (عصام عبيدات).

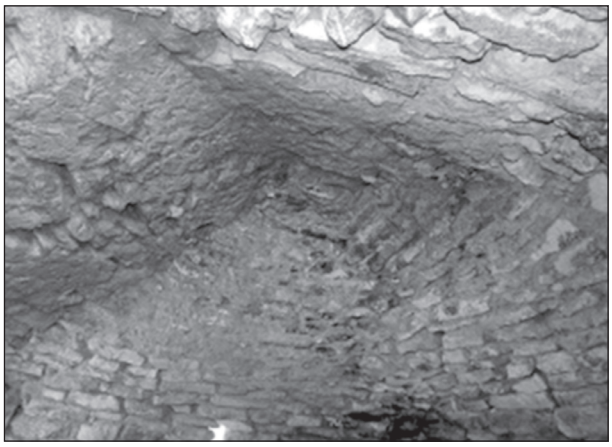

١٠. صورة تبين تقنية بناء السقف من الداخل (الباحث).

أحتل وسط الحجرة حوض واسع كانت تتدفق المياه العذبة من جوف الصخر عبر ثلاثة مصارف تصب بداخله، ويتم تصريف الماء عبر قناة رئيسية ينساب إلى الخارج نحو الوادي ليستخدم في رّي بساتين أشجار الفاكهة.أما المنطقة الخارجية المحيطة بالسبيل فهي وادٍ ضيق يقع بين الجروف الصخرية المرتفعة والتي نحتت فيها مجاميع من الكهوف والمقابر الرومانية والبيزنطية، ويلاحظ وجود مرابط للدواب منحوتة بالصخر كما كانت توجد أحواض خاصة كمشارب للحيوانات، ومن المعروف بأن الحمار هو من أكثر الحيوانات الذي أستخدمه الأهالي في نقل الماء من النبع إلى مساكنهم، وكان لا يخلو بيت من وجوده والإعتناء به وعمل مأوى ضمن حوش المسكن يحميه –خُشّة- صغيرة وتبّان يحتوي على التبن لإطعامه.

المبنى اليوم بشكل عام آيل للسقوط، وبخاصة عندما تم تحويل النبع الرئيسي إلى مكان آخر مجاور حيث ترك المبنى القديم، وقد تأثر بفعل عوامل الطبيعة من الإنجرافات التي سببتها سيول الأمطار مما أدى إلى الحاق الضرر بأساسات المبنى القائم، كما تهدم أجزاء كبيرة من المبنى ونقلت بعض حجارته المشذبه وأُستعملت في أماكن أخرى، ويلاحظ وجود مادة الإسمنت تغطي بعض اجزاء من حجارته.

عين سحم من سجل دفتر المخاتير[٧]

دونت في هذا السجل تعليمات أوامر طبيب الحكومة ومفتشي دائرة الصحة المعطاة لمخاتير القرية، فقد كانت ملزمة وعدم تنفيذها يعرض المختار تحت طائلة المسؤولية، وهذه السياسات والأجراءات الصحية جاءت بناءً على توجيهات صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن الحسين ففي عام ١٩٢٥م تم تعيين الدكتور حليم ابو رحمة مديراً للصحة في إمارة شرق الأردن، وبدأ العمل لتأسيس دائرة مكتملة للمدن والقرى والبادية والتي كان يتعذر الوصول إليها بسبب وعورة الطرقات أو عدم وجودها وتعاقد مع أطباء في مختلف المدن الرئيسية وكان في إربد د. محمد الوظائفي، د.جميل التوتنجي. وخلال الفترة ١٩٢٥-١٩٣٩م تم وضع أنظمة وقوانين لنظام صحي متكامل في إمارة شرقي الأردن مثل قانون مقاومة الملاريا وقانون الحجر الصحي لمنع دخول الأمراض الوبائية وأمراض الحيوانات والوقاية من وباء الكوليرا، حيث كانت تصدر التعليمات والوصايا الصحية والبلاغات الرسمية للمحافظة على الصحة العامة والمراقبة الصحية وتثقيف المواطنين بهذا الخصوص(ابو رحمة ٢٠٠٧).

فقد وردت معلومات عامة في الدفتر عن اسم القرية «سحم الكفارات» التابعة لمقاطعة : إربد، مسافتها عن المركز (باعتبار ركب الخيل) أربع ساعات ونصف. اسماء المخاتير وأعضاء المخاتير: وقد تعاقب عدد من المخاتير الكرام في قرية سحم نذكر منهم في عقد عشرينيات القرن الماضي منهم: المختار رشيد محمد، وفي عقد ثلاثينيات القرن الماضي المختار صبحي الرفاعي، والمختار محمود عبدالله الطوالبة، واعقبهم المختار مصطفى المحمد. والمختار محمد طوقان الاحمد وغيرهم، وذكر عدد آبار مياه الجمع بالقرية اثنان، وعدد آبار النبع: لا يوجد، كما ورد عدد أسماء ومواقع ينابيع الماء الوقعة ضمن أملاك القرية وهي خمسة: عين سحم داخل القرية وعين كفر لاهيا في الجهة الغربية وعين عيش الرمان في الجهة الشمالية وعين خلة العين، الجهة الشمالية وعين السفلى في الجهة الغربية وعين الصفا في الجهة الجنوبية. والعيون المستعملة غالباً لشرب الأهالي اثنتان هما: عين سحم وعين كفر لاهيا.

وورد بند باسماء ومواقع الأودية والمستنقعات

٧. دفتر ملاحظات طبيب الحكومة والأوامر والتعليمات المعطاة للمخاتير فرية سحم: يتقدم الباحث بالشكر والتقدير من السيد عربي محمود عبد الله الطوالبة إبن مختار سحم "محمود العبد الله" على تزويده لنا بالمعلومات الهامة الموثقة في هذا السجل القيم حول تاريخ البلدة.

والبرك التي يحتمل أن يولد البعوض فيها، وتم ذكر واديان هما : وادي كفر لاهيا في الجهة الغربية ووادي سحم في الجهة الشمالية، وهذه اشارة حول المواضع التي يتكاثر فيها البعوض مما قد يسبب نقل الأمراض كالملاريا وهي من الأمراض الفتاكة التي تنتقل إلى السكان.

وفي الصفحات اللاحقة دونت مجموعة من ملاحظات طبيب الحكومة أو موظفي الصحة اثناء تفتيش القرية والأوامر والتعليمات المعطاة للمختارين والتوقيع بتاريخه حول حالة القرية والتركيز على نظافتها وعلى خلوها من الأمراض السارية كالملاريا وتطعيم الأطفال ضد الجدري وضرورة تنظف أفنية القرية والأزقة من الأوساخ بشكل دوري والتاكيد على نظافة عيون المياه والسيول وتنظيفها من الأوساخ والأعشاب.

ومن هذه التعليمات أيضاً بتاريخ ١٩٢٧/٩/٣٠ إلى مختار قرية سحم يجب عليكم رفع جميع الأوساخ من داخل القرية وأطرافها وعدم وضع الأوساخ فيها حسب التعليمات ومراعاة أمور النظافة، اصلاح عيون الشرب بصورة تحفظ المياه من التلويث بظرف خمسة أيام من تاريخه وإلا سوف تجري عليكم المعاملة القانونية. وهذه التعليمات موقعة من مفتش الصحة ومختار سحم رشيد محمد وأعضاء المخاتير.

وثيقة أخرى بتاريخ ١٩٣٦/٨/١٣م جاء فيها يجب طرش (صبغ) غرف المدرسة قبل فتح المدرسة، ولا يوجد أمراض سارية فيها وجرى اصلاح العين، ومن الضروري طمر (النفق) الواقعة بين العين والصخر خوفاً من الوقوع فيها، موقعه من المختار محمود العبدالله.

كما ورد في وثيقة أخرى بإنه يجب تبليط الطريق المنحدر نحو العين بحيث لا تتجمع فيه المياه على شكل برك، يجب تصليح مجرى عين سحم وقطع عموم الأعشاب حول المجرى، وغيرها من التعليمات والتوجيهات موقعة من مامور الملاريا وختم المختار رشيد محمد بتاريخ ١٩٢٨/٦/١٤م.

وجاء في وثيقة أخرى يجب منع الإستحمام والغسيل في بركة الماء التي تصب فيها العين، ١٩٢٨/٧/٢٤م موقعة من طبيب الحكومة، وفي تعليمات أخرى بتاريخ ١٩٢٩/٣/١٤م بإنه يجب اغلاق بالوعات وفوهات الآبار، وتعديل عيوب المجاري وتسريبات المياه بصورة دائمة، موقعة من مأمور الصحة وختم المختار(**الشكل ١١**).

التوصيات:

- العمل على حماية المبنى وذلك بعمل سياج حوله.
- تقوية الساحة االخارجية لمحيطة بالمبنى ودفن المناطق التي جرفتها سيول المياه.
- يحتاج المبنى إلى أعمال صيانة وترميم عاجلة والعمل على حمايته كونه يمثل معلمًا تاريخيًا لبلدة سحم.
- وأخيراً أتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من السادة: عصام عبيدات/ رسام وعلي الطوالبة/ مصور، اللذان رافقاني خلال الجولة الميدانية في موقع الدراسة.

ضياء الدين عبدالله الطوالبة
دائرة الثقافة والسياحة-أبو ظبي – دولة الإمارات العربية المتحدة
ص ب ١٥٧١٥
ايميل diaeddin.altawallbeh@tcaabudhabi.ae

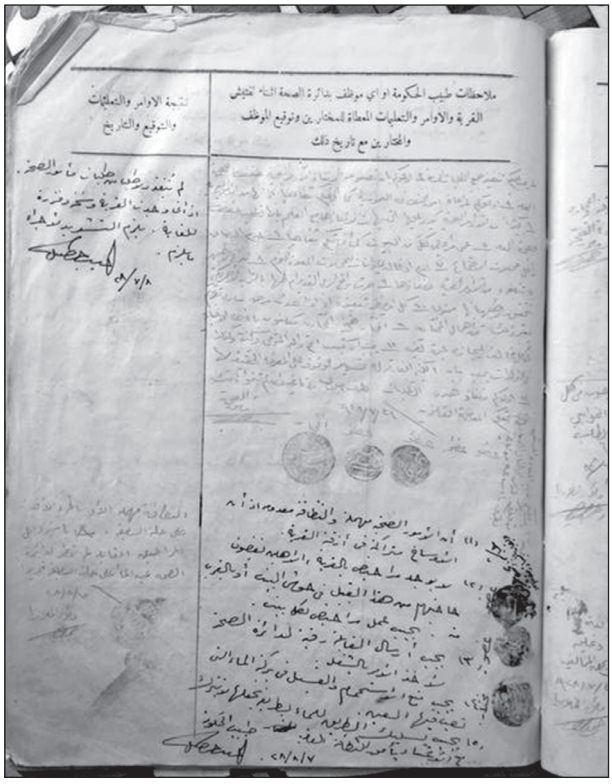

١١. صورة لوثيقة من دفتر سجل المخاتير عام ١٩٢٨م تبين تعليمات طبيب الحكومة لمخاتير القرية (محمود الطوالبة).

المراجع

أبو خضير، ناصر الدين
٢٠١٦ «أسماء قرى القدس، دراسة لغوية دلالية»، **مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب**، المجلد ١٣، العدد٢، ص ص ٣٥٥-٣٨٢.

أبو رحمة، حليم فؤاد
٢٠٠٧ الدكتور حليم أبو رحمة مؤسس أول دائرة للصحة في إمارة شرقي الأردن، عمان: وكالة عمون الإخبارية. https://www.ammonnews.net/article/٩٦٤٣.

البخيت، محمد عدنان
١٩٨٩ **ناحية بني كنانة (شمالي الأردن) في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي**، عمان: الجامعة الأردنية.

١٩٩٣ « المرافق العامة في منطقة شرقي الأردن الينابيع والآبار والبرك والطواحين والمعاصر»، **مؤته للبحوث والدراسات**، المجلد الثامن، العدد الأول: ١١-٦٨.

الجنيدل، سعد بن عبدالله
٢٠٠٧ **معجم التراث الكتاب الرابع:الأطعمة وآنيتها**. الرياض: دارة الملك عبد العزيز ١٤٢٨هجري.

الحبيس، محمود عبدالله
٢٠١١ المباني التراثية والهوية العمرانية لمدينة السلط - الأردن، **المجلة الأردنية للتاريخ والآثار**، المجلد ٥، العدد ١: ٩١-١١٦، الجامعة الأردنية: عمادة البحث العلمي.

حتاملة، محمد
١٩٩٨ الكوى النافذة في العمارة الأموية في الأردن، **أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والإجتماعية**، المجلد ١٤، العدد ٢:٢١٥-٢٢٦.

سالنامة ولاية سورية سنة ١٢٨٨هجرية، دفعة ٣. http://ia601909.us.archive.org/21/items/Salnamh-Suriye/Salnamh-wilayet-Suriye1288.pdf.

صابان، سهيل
٢٠٠٠ **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

طلافحة، زياد
٢٠١٧ محاضرة غير منشورة في الملتقى العلمي الأول «**دور الشباب في تطوير السياحة الخاص بالمسار السياحي في بلدة سحم**».

غالب، عبد الرحيم
١٩٨٨ **موسوعة العمارة الإسلامية**، ط١، بيروت: جروس برس.

محمود، عبد العزيز
٢٠٠٧ **الإنسان وموارد المياه في البادية الرردنية التعايش مع شح المياه**، البيان، المجلد ٥، العدد ١: ١٥٧-١٦٤، الأردن: جامعة آل البيت.

ودح، هاني هاشم
٢٠٠٥ «عقود العمارة العربية الإسلامية - وأثر العقد العباسي بالعمارة الغوطية في القرون الوسطى»، **مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية**، المجلد ٢٧، العدد ٢، سوريا.

Savage, S. and Keller, D.
2007 Archaeology in Jordan, 2006 Season. *American Journal of Archaeology* 111.No.3: 47-523.

Schumakher, G.
1897 *Das sudliche Basan. Zeitschrift des Palastina*-Vereins (1878-1945), Bd. 20:65-227, Published by: Deutscher Verein zur Erforschung PalästinasStable.

Walker, B.
2005 The Northern Jordan Survey 2003 - Agriculture in Late Islamic Malka and Hubras Villages: Preliminary Report of the first Season. *BASOR* 339: 67-111.

Walker, B.; Kenney, E.; Holzweg, L.; Carroll, L.; Boulogne, S. and Lucke, B.
2007 Village Life in Mamluk and Ottoman Hubras and Saham: Northern Jordan Project - Report on the 2006 Seaon. *ADAJ* 51: 429-470.